

سركون بولص

الحافنة

١٧١. روابط خاصة غير متينة

كان داود عبد المسيح (في الثالثة والثلاثين ، بدلتان ، وزوجان من الاحذية ، وثلاثة
مربطة للعنق ، وعم واحد ، وابن واحد ، وتهدل في زاوية فمه اليسرى لانه يضع
السجارة - منذ ان بدأ يدخن في الرابعة عشرة - هناك دائما) مع الفتاة عندما فتح
الباب وفوجيء ، بوجهه الذي نبش التوتر قسامة ، وهو يحاول ما كان يحاوله . ولم يكن
قد فعل شيئا ، تقريبا ، عندما ساقوه الى البيت واقنعوه ، تحت تهديدات بالسجن مشار
اليها خفية ، بان يتزوج الفتاة . وهذا ما فعله ، ولكن ذلك حدث منذ تسع سنين . وهو
لا يزال يراقبها الآن (غير ما كانت عليه ، جلد يتغير باستمرار ويتغذى بحاسة خشنة هي ابعد
الما تكون عن الانوثة ، ونشاط رتيب يسير وفق الموقف والوقت والحاجة) يشعر بغيظ
لانه لم يفتصبها . والواقع انه كان في الايام التالية لذلك ، ابعد ما يكون عن الفكرة .
وافق بخضوع ، او الاصح بقليل من التظاهر بالطيش . ولكنه كان يشعر بالفضول لخوض
التجربة ناقصة ذات حدين : فعل لا شرعي يصير شرعيا . ولكن بين الحالتين كان هناك
الزواج يرشح بالخيرة . وهذا ما كان يبقيه ذاهلا احيانا . لم يعرف قط ماذا كان محتملا ان
يحدث . وربما كان هذا هو السبب في انه كان ينام معها وهو يحس دائما بانه مطلوب في
مكان آخر ، وبالخاص . على انه كان موزعا ، كقنينة تقسمها عدة ايدي . حتى رأى وجهه
بذات يوم في المرأة . كان وجها خاصا برجل يمضي حياته كلها وهو يعطي انطبعا اينما حل
بانه لم يخلق ذقنه جيدا ، دائما ذقن غير حلقة . ورجل يبدو عليه انه لم يتم المراسم
الكاملة التي تخوله الخروج الى العالم : اي ذقن نظيفة . وهذا ما كان يبدو مستحيلا . ثم فتح
لثوديو للتصوير الفوتوغرافي (كان يرتعش تحت وطأة المغامرة لذة وقلقا) بعد ان اخذ
بمعرفته فريسة للعمل المرهق الطويل الذي كان يؤديه ، والذي اصبح اخيرا ، وقبل فتح
لثوديو باساييس ، كابوسا . والتقط صورا لزوجته وابنه الصغير وعمه ووضعها في
النجمة ، وصورة لزوج احد اقربائه البعيدين . ثم اخذ ينشغل ، مبهورا باكتشاف
بيادي : ان اي شيء (فتح ستوديو او مقهى او) يجد جمهورا مجهولا ولكنه موجود على

الدوام . وهكذا خلقت هذه العملية السحرية الاتصال بينه وبين اناس يحملون وجوها لم
يرها حتى في احلامه . واستأجر رجلا كهلا كانت الاحماض قد شوهت اصابعه وعنقه
وعينية (اجفانه بالاخص ، كانت تحيط بعينين زرقاوين باليتين كاربع حراشف من جلد) ،
ثم دفنه داود بيديه بعد شهر واحد فقط (لم يقبض الرجل حتى راتبه الاول) . لم تكن
له اية عائلة او قريب او حتى بيت . كان يعيش في فندق ، وكثيرا ما ينتقل من فندق الى
آخر . ونسيه داود بسرعة بعد ان حزن عليه قليلا . ولكنه صدم عندما راودته فكرة
ان المصور الميت لم تكن له صورة ، وهذا شيء مضحك ، ولم يحدثه عن محلل للتصوير
افتتحه انفسه في يوم ما ، ولا عن اي شيء يضيء فترة ما من حياته ، بالرغم من انها كانت
يتحدثان في العادة . ثم حاول ان ينسأه تماما عندما قال له صاحب الفندق انه يعرفه منذ
مدة طويلة وان المصور معروف بشذوذه . وحين نظر اليه داود ، شاهد على وجه صاحب
الفندق نظرة عجيبة . اراد ان يفعل شيئا سريعا فذهب بزوجته الى السينما . وفي الليل
ارقدوا الطفل في مكانه وحاول داود ، كمن يخطو في منطقة غير آمنة ، عندما بدأت زوجته
تخلع ثيابها ، ان ينظر الى جسدها وهي واقفة . عارضت ، ثم ضحكت بتوتر . ولكنه
احس في اسفله بالشهوة تلبطه كموجة كبيرة من سائل صاف اخذ يمرر حر كته في جسده
المقوس تحت ثقل اشفاقه . واخيرا رسبت بقايا رغبته في زاوية ، في قاع مغموور بانعكاسات
الماء . كانت زوجته ، التي تتخفى بحركة تشبه حركة نبات طويل يميل على عقده واوارقه ،
تحمل على رجليها تميرا من الشحوب والاشتهاء كان يرشح على بطنها وفخذها ، وكأنها رغبة
متردة تمزج بالياس وتتوقع فشلا مسموما . اشغل نفسه واندفس بسرعة نحو جسدها
محاولا ان ينطيه بعنقه . واثناء تحديق في عينيها البهيمتين ، كان يفكر بان ذلك يحدث
دائما لانه في الاصل يريد ان ينطيه فيطبق باعضائه عليها في كل مرة ويحاول ان يمزج
بها لينسيها تلك اللحظة : وقوفها وحيدة وعارية على حافة السرير . ولكنه لم يستطع ان
ينسى المصور الميت . انسى المصور الميت . انسى المصور الميت . انسى المصور الميت . انسى المصور الميت .
بالرغم من ان كل شيء اخذ بالتحلل . ببطء . الافعال تبدو حادة وبشعة في وقتها
وقوعها . بل يبدو انه لا شيء له وجود غيرها ، تتنفس وتغطي وتغطي . واحيانا يحدث
هذا بشكل متهور وتوهمي ، ولكن التحلل يستمر ، الفعل ايضا يستمر ببطء ، كل شيء
ببطء . لقد اخذ ينهل ، ويقف ويداه في الاحماض احيانا ، في ظلام غرفة خلفية ، في
شارع ضيق ، في مدينة غريبة . وهذا بدوره يحدث ببطء . ويخرج تهازا . الفرقة الخلفيتما
يتعلق بابها لمحاولة ان ينفذ عن ذهنه ، حتى في اثناء ركوبه الباص ، ففكرة ان المصور
الضام ، الكهل ، الميت ، لا يزال فيها . منحني على حوض مليء بمساء كبريتي

التي في البيتهم ، ثم دخلت عليه هذه الفتاة (او المرأة) ، توهل اغراعيها ، والتقومين المتهدل
 في استدارة (رديها) ، وعرف بعد مدة انها تتعامل مع مصورين لاختذ صور عارية
 في السوق السوداء . ومرت عليه ، فسمح لها بان تعرض جسدها الذي اشعره
 كان قد بلغ الفترة التي يستطيع فيها ان يحتفظ بتسلسل افكاره عن الستوديو وعملاته حتى
 لو مواجه بحضور زوجته العازي (بالرغبة في السفالة ، والقي به وسط نقطة شاذة ، كان
 عليه فيها يحتطف صوراً وكلمات وتفاصيل واشياء) كرأس قرد من المطاط احياناً او
 طلة تقضم رأس سمكة (لا علاقة بينها وباب غرفة الستوديو المغلق ، في الاعلى مموججها
 في حذمه فيه الشعوب المراهق الذي كان ينتشر على جلد زوجته ايضا حين كانت عارية ،
 على حافة السرير ، كمخلوقة بدائية تنتظر على حافة نهر لتتبع قسبح . ولكنه
 نهض واخذ يشعر بالكراهية لها طلب منها ، بحقه ، ان تعيد خلق ثيابها التي كانت
 دائرت نصفها . واعد كاميرا صغيرة لالتقاط صور لها . وهي عارية . واحتفظ
 في كتاب اجني عن الفن الفوتوغرافي لم تلمسه بعد (ومن يفعل) يد احد غيظه .
 باليكور ذلك ، وكانت بغيا طبيعية ثم اخبرته بانها كانت تعرف المصور الميت (لا لا لا)
 ، عندما رآته يعني فجأة . وأزالت وهمه ، فالمصور العجوز كان يهيء لها « فرصا »
 الطل : فهو معروف - « بماذا ؟ » قال داود . وحدث فيها بقسوة . ضحكت (كان هو
 الذي عرفها بداود) ، وحين نهضت ، نظر اليها نظرة عوضته عن التلفظ بكلمة « بغيا » في
 وجه البغي التي اشعرته بشيء اخذ داود ، فيما بعد ، يبحث عن حقيقته لأول مرة . وامتلا
 فظيع بعد مدة ، كما قتلى الغرفة الخلفية بروائح الاحماض الى حد غير محتمل . ثم
 ولجى بهيار من الوعي ينير داخله ثم يتكوم هناك ، متيحاً له فرصة طويلة في ان ينشئ
 استمرار وينفضه في داخله كمادة جيرية : نضيء حالما تحرك . لماذا كان ، ماذا كان يفعل في
 الستوديو ؟ كان يقوم فيه بعمله ؛ ولكن الرغبة آخذة بالتحلل . والعمل نفسه يغدو هرباً .
 الاحماض سامة تدخل الى مسامات جلده فتوقظ دمه في ارتعاش غريبة . اخذ يتعد عن
 منه الصغير ، وينظر الى محاولاته المتكررة للارتفاع (الستوديو ، المذخرات التي اخذ
 تشغل بها : ولكن الارتفاع الى اين ؟) وكأنه ينظر من الخارج الى سحلية مقبولة تحاول
 نهوض . تستطيع دفعة واحدة ، ولكنها تشغل نفسها بحركات جانبية صغيرة لا هدف
 لها ، واذا نهضت فالى اين ايضا ؟ كان هذا هو الفراغ الذي يرشح بالحيرة . . ولأول مرة اخذ
 تنفخ في منطقة جوها شبيه بجو الغرفة الخلفية . مع حركات يديه وهو يعمل بالاندراك
 ظني الذي ينشر نفسه في داخل رأسه كطبقة من النسيج . في جميع علاقاته بآخرين
 يملون ، لذلك يبدوون واضحين جدا الآن) وفي محاولاته جميعها وفي كل شيء فعله حتى الآن
 ان يحرب الوصول الى ما لا يعرفه الآن الا بغموض . وحين وقفت في المرأة (تلك المرة) ،

شخصا طويلا غير مهم في نظر اي كان ، لاحظ ان له اسنانا نظيفة . ولرعبه من التسلسل
 المشدد الذي اصبح لافكاره اخذ يضاعف تدخينه . ورأى زوجته (كانت مريضا ذات
 صباح خريفي واخذ ينظر من النافذة الى الخارج) تعود من السوق ؛ امرأة تتغطى بملابس
 بيئية وفي ساقها شعر طفيف لا يلحظ الا من قريب ومن يدها تتدلى سلة للتسوق تجر معها
 جزءا من كتفها الى الاسفل وتجعل احد نهدتها او طأ من الآخر . حاول ان يخرج ، لاهثا ،
 ولكنها كانت قد دخلت . ولم ينظر اليها . وخرج في المساء وهو يشعر بانفصال اجباري
 من الجميع (ربما لانه كان واثقا في باطنه بانه يعيش بينهم الآن بصفة مجهول) . وكانت
 اسنانه نظيفة ؛ واي رجل له بدلتان ومذخرات قليلة مثله وملابسه الداخلية مصنوعة
 بيدي زوجته او اخته ، سيضحك ، واقفا دائما في زقاق ما او باب دار مؤجرة ، باسنان
 نظيفة لا حد لنظافتها ، لانه لم يأكل الى حد ان يكون لاسنانه عالمها الخاص من الاطعمة
 والانشغال بالتهيو لملاقاة مذاقاتها جميعا في مواعيد الاكل . (« جن ، جن ! » سيقولون .
 ليفعلوا) . واستمر يدخن ويرى نفسه يأكل خضروات معروفة بالنسبة لجميع البشر في
 العالم واطعمة لا تتجاوز الانواع الثلاثة التي تتعرف عليها معدته سنة بعد اخرى ، ولذلك
 تبقى اسنانه نظيفة وخالية من الديدان . ولم لا ؟ وخيل اليه انه يرى حياة كاملة في لحظة
 غضب ويأس . وشعر بيقين تام بان جسده له الحق في ان يتحول ، ولكنه لا يتحول الا
 نحو الاسوأ : يشيخ ويتجمد ويجف . ولكن من الممكن (فكرة اقلقتة بعمق) ان يتحول
 بشكل آخر ويغير بذلك كل شيء : واذا فلن اكون عندئذ (نتيجة لذلك) موجودا
 في هذا الاستوديو بل في مكان آخر . كان ذلك ممكنا جدا . هرب ، وذهب الى سينما في
 النهار . ثم انتابه شعور تحول الى مرض . وبقي في الصباح يراقب من سريره المرأة التي كان
 قد حاول مجرد محاولة ان يفتصبها ذات يوم . الا انه اطبق ، كما يطبق غلافي كتاب ،
 شقتي ماضيه وحاضره : الاغتصاب الذي لم يحدث التحم بالصلة الجديدة بالمرأة التي تحمل
 معها آثار محاولته ، اي بالزواج . وفي اعماقه الجاهلة التي كانت تغلي بالحقارة آنذاك ،
 كحساء رخيص - ماذا كان يحدث ؟ وبثقة (ومع تدخين شره مستمر رغم مرضه) :
 « كنت اريد ان اخترق هذا الجدار الذي يقف في وجهي بطوله كله ، لا غشاء » .
 ادان نفسه . واخذ يضعف . وفي فترة قصيرة استحال الجدار الى صوت : كان حاجز من
 الماء موجودا باستمرار بينه وبين نفسه ، بينه وبين الزوجة ، بين الابن ، بين السرير ،
 بين النسخة التي تعيش في ذهنه عن المصور الميت . « اردت ان تفتصب ، ليس لحما الابيض
 المراهق في ذلك الحين ، ولكن اللحم الذي يؤكل الآن من قبل افواه اخرى غريبة عنك .
 تفتصبه ويكون لك بذلك الحق في ان تعلن وجهك وتسير في الشوارع المضاءة » . ولكن
 صورته (رجل متوسط العمر ، مريض في غرفة عائلة صغيرة بدولاها وكراسيها وصورها

المقدسة) جعلته يتقيأ . ثم دخل مستشفى . وحين تحسن اكتشف ان جميع مرضاته بغايا منظّبات بشكل متفام عليه من قبل الجميع . ولم يلاحظ ان المستشفى غارق الى نصفه تقريبا في الارض (قريب من النهر ، ولكنه جاف المظهر وكالح جدا) وانه كان اصطبلا للخيول في العهد العثماني - الا يوم خروجه .

٢ . الشطرنج

قبل ان يموت عمه باشهر ، اخذ داود يتردد عليه عدة مرات في الاسبوع . ويجلس قبالة ، محدقا في مربعات الشطرنج التي تحرك عليها اصابعها وزيرا خشبيا او فيلا او جنديا عاديا . ويموت جنود الشطرنج بكثرة ، فهم لا يستطيعون الحركة الا نحو الامام . ويقتلون بحركة انحرافية نحو الشمال الشرقي او الشمال الغربي . وفي هذه الحدود ، كان مصيرهم معلقا بهجمة عمياء من فيل خشبي يندفع من سكونه فجأة ، او من حصان يتحرك ، ناظرا الى الاعلى ، في نصف مستطيل من المربعات ، ويهوي على ما يصادفه فيقتله . والعم كان يهيء الشاي بنفسه حين لا تكون المرأة القصيرة موجودة . وبينما داود ينظر الى المرأة ، كان يحس بانه يتنفس في نهاية شفقة دبغت داخله وانهكته حتى وجدت لها منفذا . ولان الرجل (كان وجهه الشبيه بقفل كبير ينحني في غيبوبة مرضية تحت صورة له ولاخيه - عبد المسيح ، والد داود - مع رقيب انكليزي اشقر ، يرتدون ملابس الحرب) كان يحتفظ بهذه الثغرة في حياته باستاتة ، ويماطل ويتكدر وجهه فيطفو فيه عناد حياة كاملة حين يذكر الموضوع امامه - فقد فضل داود ، بل رأى الا احتمال هناك غير ذلك ، ان يتجاهل وجود المرأة . من كانت ؟ لا يهم . ولا بد انها كانت تامة الغربة ، والا لما ربطت وجودها به بهذا الخضوع . وتمر صامتة ، خفيفة الوطاء دون ان تلقي ظلا على الرجلين الجالسين امام مصفرات خشبية لحيوانات تضطجع على ظلالها المسائية الدقيقة . ومع حركة يده ، كانت عينا داود تشعان ، اذ تتحركان في داخل رأسه ، بآثار الماء والصابون حول اجفانها الرخوة التي بدأت الاحماض تؤثر عليها اخيرا . ويهبط شيئا فشيئا الى الوعدة التي يجاهد ان ينسى وجودها بصورة تامة . ولكنها حاضرة ؛ فارغة ، تنتظر ان تمتلئ . وملأتها فجأة : صورة الرجل الجالس امامه مع المرأة القصيرة ، في هذا البيت المتشبت باقدام المدينة . كان عمه ، بواسطة المرأة ، يحتفظ بارتباطه مع مصدر مجهول لعله المصدر الوحيد الذي يمنحه المقاومة في وجه المرض والمعجز : كانت المرأة دليلا يستدعي القلق ، وحيانا العار ، ويفرضها على الناس الذين ينظرون اليه : رجل عجوز يحتفظ بامرأة غريبة في بيته بصورة مشبوهة . ومع حركة مائلة لفيل يجري حتى حدود لوحة الشطرنج كالاعمى - « انه يفتصب الركود المفروض على حياته التافهة ، بواسطة هذه العلاقة غير

الشرعية « - نظرا اليه الآن بارتياح ، « نفس ما كنت اريد ان افعله . لقد اغتصب فجوة في جسد من الحجر ، وجعل منه ملجأ الذي يتشبث به ويختلس منه النظر الى العالم الخيف ، كجذر يطل من ثقبه على قطة عدوة . وفكر داود بياسه الذي دامه ، وبالسوديو . اصبح يقينا ان هذه الرابطة المشتركة بينها (بينه وبين عمه) ، هذه الحاجة الى نوع خفي من الشر ، هي ضرورية وترتبط في جذورها (كاد يشق حين اصطدم بالفكرة) بالجنس . وايضا : ان هذه هي العلاقة الايجابية الوحيدة ، طالما ان كل ما عداها معناه ان لا تفعل شيئا ، اي شيء . فان تفعل شيئا هو ان تغتصب . اخذ يشعر في النهاية بانه مذنب ، لماذا ؟ وبصمت ، ينظر الى وجه الرجل الجالس امامه ، وينهض فيضيء المصباح . مذنب ، يشعر بانه ينتظر ان تفرغ كمية الدماء التي يحس بها تملأ قاعه السفلي كالزيت . وكالزيت ، هي التي تمنحه الطاقة على هذا الانتظار . ولكنها لن تنفذ ، طالما ان الشيء الذي يفجر هذا الزيت الكثيف في داخله لم يتحقق وبذلك لم يستنفد نفسه . لم يحدث شيء ما . ومهما حدث ، يبدو انه لا شيء يغير شيئا . واذا فقد كانت الحاجة عنيفة . ولعلها (كيف ادري ؟) هي نفسها التي دفعت اليّ بسعاد المتعرية لمصوري السوق السوداء . وهي نفسها التي تفرض هذه المرأة المجهولة على عمه المريض . ونهض من مكانه . وبينما كانت يهبط من باص مهجور كان فيه رجل شاحب جدا يتقيأ تحت مقعد مقابل - كان عمه يموت يهدوء قبالة المرأة الصامته التي كانت تحاول ان تشفيه بارادتها ، وقد تجمع جسمها الذي بدا صغيرا وخائفا على حرف السرير . وبدأت تطوف حول رأس المريض روائح رجل ميت .

٣ . طيور وزجاجات بيرة
الماء ، وكان رأسه قد طفا فوق مستوى الماء لحظة ثم غاص وارتفع ثانية ، هذه المرة بمجمعة شبه عارية ، لان الشعر بدا خفيفا جدا كقطن منسول حينما ابتل . وظهرت الجمجمة كيقطينة فارغة تطفو في الماء . وعلى الرمل اخذ الصبي يركض فجأة . وكان قد القى بالقرود الصغير المصنوع من البلاستيك على حافة البحيرة فاخذ القرود يترنج في الماء يبطم كجثة غريق . وسمع عمه طويلا . وبالرغم من نجافته فقد كان قويا . وحين هبط الى الماء لأول مرة ، شقق بقوة . ثم اندفع الرجل العجوز مع موجة كبيرة ارتدت من الشاطئ نحو الداخل ، وكألمة تمشط الماء يد ماردة منفية عن الوجود . ووضع داود عينيه مع المستوى الغامض الذي كان يميل حتى حدود السماء كقطعة واحدة من مادة سائلة شفافة ، ثم غمرها ببطء ، ببطء ، ببطء ، وانحسرت عنه المياه بحركة مفاجئة حين ارعبه الصمت القام ، المطلق في داخل الماء . ونظروا . كان الرجل الآخر قد لبست

عبر الماء محركا ذراعيه بترأخ ، ورأسه لا يكاد يرتفع عن السطح ، ثم حاول ان يعود ولكن رأسه ظل طافيا كما في السابق لحظات ، ومن الواضح ان رجلينه كانتا تجذفان في داخل الماء ليبقى طافيا فيريح بذلك ذراعيه . ثم خرج الرجل المعجوز من الماء واضطجع فوق ظهره وهو يحدق في العلاء ويتنفس بصعوبة . كانت بالقرب منه زجاجات بيرو فلرعة . وتحت ظل السيارة طيور مائية تنتهز فرصة غيابهم لتأكل بقايا الخبز والبيض والفاكهة التي كانت لا تزال فوق المفروش المنشور على الارض . وقال الرجل المعجوز لداود : « عندما كنت اتصور جوعاً في شبابي ، لم اكن احلم الا بان اسبح ، واسبح ، واسبح ، ولا انتهي من السباحة » . وسعل بضعف ، ولكن وجهه كان يضحك بصمت وقد جف الماء المالح على جلده فاعطاه بذلك لون فاكهة فجأة . وظهر الصبي قريبها ، ثم اندفع وهو يصيح نحو كومة الطيور البيضاء التي كانت منشغلة تحت ظل السيارة . وطارث ثم هبطت باجنحة مفتوحة على حافة الماء . وكانت طيور اخرى تحلق على بعد قليل من الحافة ، وبعضها يصدر عويلا غريباً . و اشار ابنه فجأة الى شيء يطفو فوق السطح ، ويتمادى ببطء شديد مع انحسار موجة . وقال وهو يقفز : « القرد . القرد » .

سبح داود ورأسه طاف ، والماء يغطي جسده حتى العنق - في نصف دائرة وهو ينظر طيلة الوقت نحو الدمية الفارغة التي كانت تطفو كمهد طفل مستسلمة للماء . واقترب منها وقد شعر بقواه تضمحل . ودخل انفه ماء فاشعره بالتشنج . وكانت اللعبة طافية على ظهرها ، وقدم القرد تشيران باصابعها المطاطية المتلاصقة نحو السماء وبين ذراعيه اكورديون يتصل بتكوينه المادي نفسه ؛ ملتصق بيديه ، وفي نفس الوقت يمثل صدره . وكان القرد يعزف وعيناه الحزبتان (اللتان لم يكن داود يراها بل يتخيلها بينما هو يحفر براحتي كفيه تربة الماء الرخوة الثقيلة) كانتا تنظران الى الله دون ان تعبوا عن شيء وكأنه يريد ان يريه نفسه الفارقة دون ان يستنجد به ، دون ان يعترف بفرقه ؛ كانت هذه الصورة ملء اعصابه التي كانت ترشح الآن ، بخوف جاف جعله يفكر بان يصرخ . ولكن الرجل المعجوز كان بعيدا ، ضائعا في حدود الماء . وبعد قليل كان يدفع امامه القرد الذي لا يزال يعزف لحنه غير المسموع . ثم قلبه داود على وجهه في الماء واخذ يدفعه امامه بهل . وصدمته الفكرة الثانية ، فقد كان الایحاء قويا ؛ كان القرد قد كف عن امله في آخر الامر ، واخذ يحدق بعينيه في اعماق البحيرة - ربما ليرى القاع ، وقد قلب ظهره القصير للسماء واستسلم للوجه التي كانت تحمله ، ووضع ثقته المتبقية في اكورديونه الصامت الذي كان يجعله الآن يطفو بانحراف . واستلقى داود على الساحل وهو يشق بقوة كانت تجعل جدران حنجرتة تلتهب بالهواء المار الى الاسفل حيث رثاء المتشجعتان .

وتناول الصبي قرده المبلل واخذ يمسحه بحسده العاري وهو يقهقه . وعلى حين غرة

كان الحيوان الصناعي المفرغ من الحياة قد قلبس نفس حالة الرجل المعجوز الذي كان يضطجع على الرمل هادئا ، موحيا بان الموجة القادمة ستكتسحه ثم تجرفه معها كدمية فارغة من المطاط. ولم يستطع ان ينفس عن الرغبة التي راودته في الصياح باقصى انفتاح لفكبه ، للماء ، والطيور ، والشمس ، والحافة ؛ دون هدف ، دون هدف ، مجرد ان يصيح ويتقلب في الماء ولا يعود ابدا الى الفاصل الذي كان يقدم اليه الامان دائما: حافة اليابسة. كانت هي المرحلة (او، ماذا هي؟ حد؟ وهل هناك حدود في هذا الفراغ؟) التي يقف فيها الآن، غائضا في زيتها حتى صدره ؛ عدم الاهمية بالنسبة لكل ما هناك ، عدم الاهمية مهما سبح ، وتحدث ، وعمل ، واكل ، وشرب ، ويشس. وكان عمه قد ترسب في هذه الحالة طويلا ، واخذ يطفو على سطح ايامه الباقية كفلينة لا اهمية لها ، فترجح حسب تموجات السطح وتبقى طافية حتى ينحسر الماء ويرسب بها الى القاع الذي يبقى وحده بانتظارها ، صلدا ولا شيء آخر بعده . وحين ارتدى ملابسه كان الرجل الآخر قد نهض ومشى نحو السيارة كشبح خفيف من الجلد ، واخذ يتحدث مع الصبي باهتمام . وفي طريق العودة خطر له ان هذه الحالة التي يعيش فيها الآن هو وعمه ، وكان يعيش فيها المصور الميت ، وتعيش فيها زوجته - هي نفس الحالة التي اتخذها القرد حين يش من عزفه الذي لا معنى له ، ورقد على وجهه الضيق وهو يبحث بعينه عن الارض البعيدة الكامنة تحت كتلة المياه . ولكن عمّ يبحث ، وهو في هذه الحالة التي كف فيها حتى عن الرغبة ؟ لم يكن يعلم . وعزم على ان يحاول القيام بنزهات اخرى في المستقبل للسباحة في البحيرة .

ولكن اين يسبح عمه الآن؟ هل وجد المكان الذي كان يحلم به في ايام شبابه البائس ، حيث يستطيع ان يطفو في مياه لا نهائية ويتقلب فيها دون ان يكون له هم آخر ؛ في المياه الشاسعة ، النظيفة ، الصامتة ، العميقة ؛ يستسلم لها ويغمض عينيه في سلامها الغريب ، ويسبح ، ويسبح ، ويسبح ؟